المشرق

خليج البُسفور ورأي العلماء فيهِ

نبذة للاب ا . لوريول اليسوعي

لا يجهل ذو ادبٍ ان خليج البسفور الذائع الشهرة في تواريخ الاقدمين واساطيرهم الاولين هو خليج ضيّق يقسم اوربّة عن آسيّة من الشرق الى الغرب ويفصل بحر نيطش المعروف بالبحر الاسود عن بحر مرمرا من الشمال الى الجنوب . ولهذا الخليج من المناظر ما يسبي قلب المتأمل ويبهر عين الباصر . ومياههُ اللازوردية كمرآة صقيلة تعكس صور الرياض المائسة على ضفّتيهِ . الّا ان صفة هذه المحاسن قد سبق اليها حضرة الاب بولس جورن في مقالةٍ ضافية الذيل رسمها بالمشاهد الفتّانة في الرحلة الى الاستانة اثبتها هذه المجلة في العام الماضي (المشرق ٢ : ٩٦١) فلا حاجة الى التكرار . ولمّا اتاح لنا الله ان نتمتّع بمعاينة هذا الخليج المبارك احببنا ان نورد لقرّاء المشرق ما يفيدناهُ العلم عن ذلك البوغاز الشهير فنقول :

قد ورد اسم البسفور في اقدم التآليف اليونانيّة التي سُطِرت قبل عهد المسيح . وهو اسم معرّب من الرومية (Βόσπορος) يراد بهِ « معبر البقرة » ارادوا بذلك انهُ قصير المسافة حتى انّ بقرةً يمكنها قطعهُ سباحةً . ومن خرافات اليونان الاقدمين انّ الالهة إيو مسخها المشتري بقرةً فاجتازتهُ سابحةً

ومَدْخل هذا الخليج من جنوبهِ الأقصى عند كدي كوي واستنبول ومنتهاهُ في شماله الابعد عند الصخور الكيانيّة (Symplégades) . وطول الضفّة الاوربيّة مع ما فيها من العطفات يبلغ ٣١ كيلومترًا ولا تتجاوز ضفّة آسية ٢٨ ك . وعرض الخليج في اضيق ممرهِ بين رومللي حصار واناضولي حصار قريبٌ من ٥٥٠ مترًا . ثم يزيد عرضهُ حتى اذا بلغ رأس

السراية صار ١٥٠٠ متر. ثمّ يتّسع فينتهي عرضهُ الى ٣٧٠٠. امّا معدّل عمق الخليج فنحو ٢٧ متراً وعظم عمقهِ ٥٢ م

وللبسفور في الضفة اليمنى الاوربيّة سبعة رؤوس يقابلها على الضفّة الاسيويّة سبعة أخوار تناسبها بحيث تلتحم الضفّتان التحاماً تامّاً لو امكن ضمّهما. ومياه الخليج في انحدارها تجري تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال. فتنتقل بقوّة شديدة الى اعماق احد الاحواض ثم تنعكس الى جهة أخرى فتدخل في الحوض التالي. امّا الجرى الاخير الذي يصدم قنّة السراي فلا يدخل من مياههِ في قرن الذهب الّا الشيء القليل وينصبّ اكثرهُ من جهة كدي كوي في بحر مرمرا. وكان الاقدمون قد لاحظوا هذا الامر وبوليبيوس الكاتب ذكرهُ في تاريخهِ

ولكن ياترى هل وُجد خليج البسفور في الاعصار الخالية فانّ هذه قضية تفاوض فيها العلماء. وأفتوا جميعهم بالحكم السلبي. والتقليد المتواتر بين القدماء يوافق رأيهم فانهم يزعمون ان بحر نيطش او البحر الاسود كان في سالف الاجيال منفصلاً عن البحر المتوسّط وان خليجَي الدردنيل والبسفور انفتحا في زمن واحد بقوّة زلزال هائل حدث في تلك الانحاء. امّا عهد الواقعة المذكورة فالمرجّح انّهُ كان في أيّام طوفان محلّي يعرفهُ اليونان بطوفان درقاليون

وممّا يؤيد زعمهم الفحصُ الجيولوجيّ الذي باشرهُ العلماء على ضفّتي الخليج فانّ البحث المدقق بيّن لهم انّ تركيب الصخور في كلا الجانبين يرتقي الى الطور المعروف عندهم بالديشوني وانّ الحيوانات المتحجّرة فيهما متجانسة الهيئة متشابهة الاشكال. اعني انها تكوّنت في زمن واحد. وفي مدخل الخليج على جانبيهِ احجار بركانيّة غايةٌ في الشبه من حيث تركيبها الكيميويّ وكلّ ذلك دليل باهر على ان شبه الجزيرة الاوربيّة كانت متصلةً في ما سلف من الزمان بآسية الصغرى فضايا طغيان المياه

امّا كيف حدث الطغيان المذكور وما كان امرهُ واحوالهُ فذلك ممّا لا يخلو من المشاكل. الّا أن ائمّة العلماء قد اجمعوا القول في كشف سرّهِ على ما نوردهُ. قالوا:

ان ارضنا التي يعتبرها البشر كمثال الثبات والسكون لا تزال في اهتزاز وحركة متداومة. فان غلافها الخارجي تحترقهُ الانهار والسيول وتغيّر المياه هيئتهُ في كل آن امّا داخلها فانّ ما يتضمّنهُ من الموادّ النارية والحمم البركانيّة والابخرة المعدنية يصدم

خارطة خليج البسفور

غلاف الارض صدمات متوالية فيهزّها هزّاً يختلف في الكم والكيف. وكثيرًا ما تكون هذه الحركة لطيفة خفيفة لا تكاد تشعر بها لخفّتها وربّما اشتدّت في بعض الاحيان اشتدادًا عظيماً تتقشعرّ له الابدان كما في حدوث الزلازل. ثمّ انّ للارض فضلًا عن ذلك حركات قويّة جدًّا متساوية تجري على نمط واحد من شأنها ان ترفع بعض الامكنة او تهبط بغيرها فتجعلها على سواء سطح البحر بعد ان كانت مرتفعة. والملاحظات العلميّة قد أطلعت على هذه الحركات الارضية وقرّرتها بكل تأكيد ودقة

فاذا اعتبرنا الآن البحر الاسود وجدنا انّ أطرافهُ في مداره لا تزال في ارتفاع متدارم بينما ترى المياه تتقلّص وتتنزوي عن حدوده. واهل القريم من التتار الساكنين في شواطئهِ يلحظون نضوب المياه الى عهدنا هذا ويتبيّنون ذلك بما يرونهُ من الاصداف البحريّة الحديثة في داخل بلادهم عند اعاليها من بلاد ثراقية والاناضول. وكان للبحر الاسود خلجان وشروم تراها اليوم منفصلة عن البحر وهي مستقعات ذات ماء أجاج منتنة الرائحة. ومن استقصى البحث من العلماء في هذا الامر تحقّقوا ان بحر قزوين وبحر أرال والبحيرات التي تمتدّ في صحاري روسية الجنوبية كانت كلها في القرون الغابرة متصلة بالبحر الاسود. ويستدون قولهم الى ما يوجد في تلك السهول من الملح والمواد الكلسيّة البحريّة وما في تلك البحار والبحيرات من الاسماك والحيتان كالفظ (phoque) وغيره ممّا لا تراهُ الّا في الاوقيانوس والبحار الكبرى فينتج من ذلك انّ حوض البحر الاسود كان سابقًا متّسع الحدود رحب الجوانب

ثمّ انّ المياه التي كانت تصبّ في الاعصار الماضية في البحر الاسود كانت وافرة غزيرة بحيث تزيد كميّتها عمّا يتبخّر منها بالشمس والرياح. وعليهِ فكان سطح البحر الاسود لا يزال في تصاعد وامتداد يضغط جوانبهُ ضغطًا عظيمًا حتى اذا وجدت المياه معبرًا تجاوزت حدودهُ وطغت فوقهُ. وليس المعبر المذكور الّا خليج البسفور اخترقتهُ المياه بقوّة ضغطها واندفعت الى ان وجدت وطأً من الارض فتجمّعت هناك وهذا هو بحر مرمرا. ثمّ تزايدت المياه وارتفع سطحها واشتدّ ضغطها ثانيةً على الصخور والاراضي التي تفصل بحر مرمرا عن بحر اليونان المعروف ببحر ايجاى (Égée) فتعدّت هذه الحدود الجديدة وحفرت لها فرجةً واسعة هي خليج الدردنيل. ولنا على ذلك دليل حيّي

في التقطُّعات والثُّلَم التي يعاينها الناظر على جانبي بوغاز البسفور وعليها يندفع مجرى المياه يمينًا وشمالًا كما سبق القول

اما المجرى المذكور فقد نسبهُ بعض العلماء الى ارتفاع سطح البحر الاسود فوق بحر مرمرا. ولكن الاصحّ ان لذلك اسبابًا أخرى غير هذا كما ترى في مضيق جبل طارق

وهذا المجرى ليس هو بالمجرى الوحيد الذي يُرى في خليج البسفور لانَّ للبوغاز مجريَيْن مجرًى أعلى ومجرًى اسفل كما سترى

فالمجرى الاعلى قويّ الشدّة تراهُ العين بلا مشقَّة ومعدَّل سرعتهِ في الساعة ٥٥٠٠ متر . وهو ينقل من البحر الاسود الى بحر مرمرا ٣٠٠٠٠ متر مكعَّب من الماء في الثانية

وهنا مشكلان سعى العلماء في حلّهما الاول: ما هو اصل هذه الكتلة الوافرة من المياه لان الانهار التي تصبّ في البحر الاسود وهي الدون (Don) والدنيبر (Dniéper) والتونة (Danube) لا تبلغ مياهها سوى نصف هذه الكتلة اي نحو ١٥٠٠٠ متر مكعَّب. بل كتلتها اقلّ من ذلك اذا اعتبرنا ما يتبخَّر منها ويتصاعد الى الجوّ. والمشكل الثاني هو ان البحر الاسود لا يزال مالحًا مع كثرة ما يجري اليهِ من المياه الحلوة. فأتنى لهُ هذه الملوحة

والجواب على هذين المشكلين انهُ لا بُدَّ من وجود مجرًى اسفل في خليج البسفور ينعكس من بحر مرمرا الى البحر الاسود فيجري بخلاف المجرى الاعلى (راجع الخارطة ص ٣٨٧). ومبدأ هذا المجرى الاسفل من بحر اليونان يعود مستقهرًا مارًّا بخليج الدردنيل ثمَّ بحر مرمرا ثم البسفور وينتهي الى البحر الاسود. وهذا المجرى مياههُ مالحة بخلاف المجرى الاعلى الذي هو اكثر حلاوةً. وهكذا ترى المياه في دوران متَّصل ذاهبةً من سطح البحر الاسود وآئبةً اليهِ من اسفل فيبقى البحران في توازن عجيب وفقًا لناموس الخالق عزَّ وجلَّ

هذا وللمياه قوة اعظم في ضفَّة الخليج اليمنى فانك ترى شواطئ الجهة الاوربيَّة اكثر تقطُّعًا وخروقًا وثلمًا من الضفَّة الاسيويَّة. وذلك مبني على ناموس طبيعي يدعوهُ العلماء ناموس انحراف الموانع

وذلك انَّ الارض في دورانها اليومي لا تتصرَّف مع الموانع تصرُّفها مع الجوامد.

لانَّ الجوامد تبقى دقائقُها المختلفة ملتصقةً ببعضها فتدور كذلك حول محوَر الارض دون ان يصيبها انقسام. وليس الامر كذلك في الموائع فانَّ اقسامها كثيرة الحركة يختلف انحرافها على حسب استدارة الكرة واجتيازها في أعراض شتى. ولا يخفاك ان سرعة دوران الارض خفيفة جدًّا في القطبين وهي تتزايد بقدر اقترابك من خط الاستواء. فمن ثمَّ اذا وجد جسم قابل الحركة كالماء مثلًا وكانت وجهة حركته من القطب الى خط الاستواء تأخر في حركته عن حركة الارض التي لا تستطيع ان تحمله في سيرها حَنَانَها للجهاد الملتصق بها. فينتج من تأخر الموائع انها تميل منحرفةً الى المغرب الذي موقعهُ على يمينها في القسم الشمالي وعلى شمالها في الجنوبي

وبعكس ذلك كل متحرك يتجه من خط الاستواء الى احد القطبين تكون حركتهُ اسرع من حركة نقطة الارض التي يجتازها في ساعته ولا بدَّ لهُ ان ينحرف الى جهة الشرق اعني يمينًا في الشمال وشمالًا في الجنوب. ومما يتبع هذا الناموس الرياحُ في هبوبها وتجاري البحار ومياهُ الانهار في سيلانها وقذائف المدافع في انطلاقها

أفلا ترى مثلًا كيف تنحرف الانهار الكبرى كالفرات والنيل والكنج والتونة والرين واليوكن في اربعة اقطار العالم فانها حسب وجْهتها تميل ذات اليمين او ذات الشمال. ولا يُستثنى من هذا الناموس الّا الانهار التي تسيل موازية لخط الاستواء لانهُ لا داعي لانحرافها وانَّما يؤثر فيها دوران الارض إمَّا بان يُعجل سيرها ان كانت وجهتها نحو الغرب وإمَّا بان يُبطئ سيلانها ان جرت نحو الشرق

فان اعتبرنا الآن خليج البسفور وجدنا وجهة مجرَيهِ على خطٍ مستقيم بين القطب وخطّ الاستواء يسيل مجراهُ الاعلى من الشمال الى الجنوب والاسفل من الجنوب الى الشمال. فلا بُدَّ اذن ان يصحّ فيهِ كما في غيرهِ ناموس الانحراف ولذلك ترى مجراهُ الاعلى الذي هو أشدّ سورةً واغزر مياهًا يميل الى الضفَّة اليمنى فيجرف تربًا من ارضها

واذا صرفنا نظرنا الى جانبي البسفور لنرى ما خصَّهما الله بهِ من ضروب النبات وأصناف الحيوان وجدنا انَّ غناهما من هذا القبيل دون جمال موقعهما وحسن مناظرهما الطبيعيَّة. وسبب ذلك انَّ هواء البسفور يتقلَّب بين الحرارة الشديدة في الصيف والبرد القارس في الشتاء فلا يمكن ان يذكر بقربهِ نبات الاقطار المعتدلة او الاقطار الحارَّة.

كما لا يستطيع حيوان البلاد المعتدلة او الحارة ان يعيش فيه. فاذا صار الشتاء هبَّت في خليج البسفور الرياح الباردة التي تأتي من صحاري روسيَّة الجامدة فينفح القرّ على اهل الاستانة حتى ان ميزان الحرارة هبط في بعض السنين الى الدرجة العشرين تحت الصفر بل تجمَّدت مياه البوغاز. وبعكس ذلك لمَّا كان عرض البسفور في الدرجة ٤١ ربَّما اصابها في الصيف حرٌّ لافح لا يكاد يُطاق. وهكذا يختلف هواء الاستانة اختلافاً عظيماً على حسب السنين فلا يقوى كثيرٌ من النبات او الحيوان على ان يألف جهات البسفور. هذا ومما لاحظهُ علماء الطبيعة ان الحيوانات الارقيانيَّة تقلّ جنساً وعدداً على قدر ما يتقدَّم الانسان من جهات جبل طارق الى جهات البحر الاسود

وقد اثَّر ايضاً في نفي بعض الحيوانات والنباتات البلديَّة تقاطر الاجانب الى سكنى البسفور. فنفرت الوحوش الاصليَّة مستوحشةً من الانسان عدوّها. وقلَّ ايضاً جنس بعض الاسماك فلم يَعد الصيَّادون يجدون منها الّا نادراً كسمكة السيف (espadon). وكذلك النبات البلدي فانهُ قلَّ لاتساع نطاق السكان. وبعكس ذلك كثر النبات الاجنبي واصناف الزهور التي يُعنى بها ذوو الثروة في بيوتهم الخاصَّة

وخلاصة القول ان خليج البسفور ذو شأن خطير من حيث تاريخهِ ومرقعهِ الاثير ومشاهدهِ الفتَّانة. لكنَّهُ قليل الاعتبار من حيث مآثرهِ النباتيَّة واصنافهِ الحيوانيَّة. فسبحان من قسم الخيرات على عبادهِ وانعم على كلّ بلد بشيء من هباتهِ ليتعاضد الناس ويتآزروا كالاخوان في صلاح شؤون الهيئة الاجتماعيَّة وخدمة ربّ الاكوان

أَوْجُهُ الإِعراب عند العرب والأَعراب

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

هل وُجدت اللغة العربية أوَّلَ وجودها بهذه الصورة التي نعرفها بها اليوم من إجراء اوجُه الإعراب على أواخر الكلم إنْ عند العرب وإن عند الأعراب؟ — هذا سؤال يسألهُ كل من يريد الوقوف على حقائق الامور ودقائقها. فجواباً عن ذلك نقول: على السائل ان يعلم اولاً: ان اللغة العربية اختٌ للغات أُخرى تعرف طائفتها